المؤسسات الإعلامية في إفريقيا: التحكم، السيطرة، التأثير

أ. أحمد إسماعيل
باحث سوداني مهتم بالشؤون الإفريقية.

تشكل علاقة وسائل الإعلام بالسلطة الحاكمة، اقتراباً وبُعداً، أهم ملامح المشهد الإعلامي في إفريقيا، حيث تقلبت المؤسسات الإعلامية في إفريقيا، بين عدة سياسات، فمن قبضة أنظمة الحزب الواحد، التي تعتنق النظرية السلطوية، التي ترى أنّ الإعلام لابدّ أن يكون صوتاً للسلطة السياسية، وداعماً لخطها، إلى نظرية الحرية الليبرالية، التي ترفض أي قيود على حرية النشر، مما يجعل الصحافة والمعارضة حليفين في الرقابة على السلطة الحاكمة.

صارت إفريقيا ميداناً للتنافس بين القوى الخارجية، والإمبرياليات الكبرى في العالم، فمعركة مدِّ النفوذ، أشبهت إلى حدٍّ كبير معركة التسابق الاستعماري في السابق، وأصبحت المؤسسات الإعلامية هدفاً مباشراً للاعبين الدوليين في هذا الميدان.

وفي هذا المناخ المشحون بالمتغيرات، وعلى هذه الأرض المتحركة:

- هل استطاعت مؤسسات الإعلام الإفريقية أن تثبّت أقدامها، وتجد لها مكاناً مستقلاً ومتميّزاً بهويته الثقافية؟

- وإلى أي مدى استطاع أصحاب الأجندات أن يحكموا سيطرتهم على المسار الوظيفي للإعلام الإفريقي؟

هذا بعض ما تسعى هذه الدراسة للإجابة عنه.

أولاً: مدخل مفاهيمي:

يربط مفهوم «المؤسسات الإعلامية» بين فرعين معرفيين؛ الإعلام من ناحية، والإدارة من الناحية الأخرى، مما أهلها لتصبح فرعاً تخصصياً قائماً بذاته، يُدرّس في كليات الإعلام تحت عنوان (إدارة المؤسسات الإعلامية)، وفي هذا الجانب ترد مجموعة من التعريفات، بزوايا نظر يميل بعضها للإدارة، والبعض الآخر للإعلام، **ومن تلك التعريفات:**

«منظمة حكومية أو خاصة تعمل في مجال من مجالات الإعلام المختلفة، ويكون دورها الأساسي بالضرورة العمل على نشر الوعي والثقافة والخبر الصحيح، إما مكتوباً وإما مسموعاً وإما مرئياً، وتُوظّف هذه المؤسسات كفاءات علميةً ضمن الإمكانيات المتاحة للحصول على أفضل النتائج»[1].

وتُعرّف كذلك بأنها: «مجموعة من النشاطات المتميزة، يقوم بها أشخاص يؤدون أدواراً وفق قواعد معينة، وتتميز كذلك بإنتاج وتوزيع المعرفة (كالإشهار والثقافة)، وتُعتبر كذلك همزة وصل بين أفراد المجتمع، حيث توفر قنوات يرتبط من خلالها الناس، وتربط كل فرد بمجتمعه».

وهناك تعريفٌ آخر يوصّفها بأنها: «مجموعة من الأفراد

(١) هنادي أحمد (١١ مارس ٢٠٢٩)، مفهوم المؤسسة الإعلامية، بموقع حياتك. كوم: https://hyatoky.com

تاريخ طويل، ورحلة شاقة قطعتها مؤسسات الإعلام في إفريقيا، وفي جنوب الصحراء الكبرى خاصة، عانت فيها القهر والاستبداد، وكافحت فيها من أجل الحرية

القائمين بالوظائف والجهود في مؤسسة، ويمتلكون القدرة على التسيير، وتقوم الإدارة على ما يُسمّى بالتسلسل الهرمي للسلطة المؤسسة على المجال العام، لأنّ القضايا التي تعالجها هي قضايا عمومية، يلتف حولها الرأي العام»[2].

والوصف الذي يمكن أن نخلص إليه من خلال كل هذه التعريفات، هو: أنّ «المؤسسة الإعلامية «كيان إداري» منظم، ذو شخصية اعتبارية، يشتمل على مجموعة من الأدوار التي يقوم به الأفراد ضمن هذا الكيان، ويقدّم منتجات إعلامية؛ سواء كانت صحفاً، أو مواد سمعية وبصرية، تستهدف جمهوراً معيّناً، وهي بهذا الوصف تشمل المؤسسات الصحافية، والإذاعات، ومحطات التلفزة، ومواقع الإنترنت التي تقوم عليها هيئات إدارية، ولا تشمل الجهود الفردية، أو المدونات الشخصية، وغيرها من الأعمال الإعلامية التي تُدار بشكلٍ فردي».

ثانياً: نشأة مؤسسات الإعلام في إفريقيا:

بدأ ظهور المؤسسات الإعلامية في إفريقيا، في وقتٍ مبكّر، يمتد من نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن مرّت المؤسسات الإعلامية في إفريقيا بثلاث مراحل:

(٢) جلاط رجاء، دور الاتصال في إدارة وتسيير مؤسسة إعلامية، إذاعة سعيدة المحلية نموذجاً، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الاتصال والصحافة المكتوبة، من جامعة مولاي الطاهر سعيدة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، بالجزائر، (٢٠١٥-٢٠١٦).

• **المرحلة الأولى: الحقبة الاستعمارية:**

وُلدت الصحافة الإفريقية في كنف الاستعمار الأوروبي، الذي رزحت تحت وطأته إفريقيا لقرون عدّة، وفي سيراليون كانت البدايات الأولى، حيث صدرت أول صحيفتين في إفريقيا، وهما: «سيراليون أدفرتايزر» و «رويال جازيت» عام ١٨٠١م[١].

ويرى البعض أنّ أول الصحف صدوراً في إفريقيا كانت في كيب تاون بجنوب إفريقيا، وهما صحيفتا: «كيب تاون جازيت»، و«أفريكان أدفرتايزر»، اللتين صدرتا في العام ١٨٠٠م، بعد حوالي ١٥٠ عاماً من قدوم أوائل المستوطنين الهولنديين إلى إفريقيا[٢].

ثم تلتهما ساحل الذهب (غانا) بإصدار «رويال غولد كوست جازيت» عام ١٨٣٢م[٣]، حتى بلغت في نيجيريا وحدها ٢٨ صحيفة.

وكانت غالب تلك الصحف إما تحت سيطرة الحكومات الاستعمارية، وإما مملوكة للمستوطنين البيض، وكان الغرض منها هو ربط رجال الإدارات الاستعمارية، والأقليات الأوروبية المستوطنة، من رجال أعمال وغيرهم، بأنباء وطنهم الأم، بجانب استقطاب اهتمام النخبة الإفريقية المتعلمة[٤].

وإلى جانب الصحافة المملوكة للإدارة الاستعمارية؛ مثّلت «الصحافة التبشيرية» حليفاً قوياً للاستعمار، حيث كانت إلى جانب الدعوة للنصرانية تقوم بمهمة الدعاية للدول الاستعمارية، وكانت أول صحيفة صدرت من هذا النوع في نيجيريا عام ١٨٥٩م، وكانت تتبع للبعثة التبشيرية الإنجليزية، أصدرها القس هنري تاونسند، وفي غانا كانت صحيفة «كريستيان مسينجر» هي ثاني صحيفة تصدر في البلاد، وكانت البعثات التبشيرية تحرص على إصدار صحفها بلغة الدولة الأوروبية المستعمرة، مع إحدى اللغات المحلية المنتشرة.

ثم جاءت فترة التحرر الوطني، التي احتدم فيها النضال ضدّ الاستعمار، وظهر منافس آخر للهيمنة الاستعمارية على الصحافة، تمثل في (الصحافة الوطنية)، التي كانت أداةً رئيسة للتعبير عن حركات التحرر الوطني الإفريقية من ناحية، ووسيلة للتوعية والتربية السياسية والأيديولوجية للجماهير الإفريقية من ناحيةٍ أخرى.

وكان الصحافيون هم أكثر المثقفين الوطنيين نشاطاً، في النضال الوطني ضد الاستعمار، ولذلك فإنّ أكثر الأسماء لمعاناً في سماء الحركات الوطنية كان لصحافيين، أصبحوا زعماء للنضال من أجل التحرر في إفريقيا، أمثال؛ جوليوس نيريري، الذي بدأ نشاطه السياسي رئيساً لتحرير صحيفة «سوني ياتانو» قبل الاستقلال، وجومو كنياتا الذي ترأس تحرير أول صحيفة كينية شهرية صدرت بلغة الكيكويو، وكان اسمها «موجاثانيا»، التي تعني «العمل والصلاة»، وكانت لسان حال الرابطة المركزية في كينيا.

وفي نيجيريا أسس نامدي إزيكوي، أول رئيس وزراء بعد الاستقلال، صحيفة «ويست آفريكا بيلوت» عام ١٩٣٧م، وكان كوامي نكرومة يرأس تحرير صحيفة «أكرا إيفننج نيوز» لسان حال حزب الميثاق الشعبي في غانا، وأصدر ليوبولد سنغور، الذي أصبح أول رئيس للسنغال، صحيفة «لا كوندشن هيوماني» لسان حال الحزب التقدمي السنغالي[٥].

وكانت جنوب إفريقيا المحطة الأولى لانطلاق الإذاعة، عام ١٩٢٤م، وكان الهدف منها تقديم الخدمة للمستوطنين البيض، ففي جوهانسبرغ وكيب تاون وديربان مُنحت ثلاث منظمات- وهي برايفيد دوب، وأدفرتايزنق جروب، ولوكال أوثريتي- تراخيص للبث الإذاعي، لكنها كانت تجربة متعثرة، تمّ التخلي عنها لصالح القطاع التجاري.

في العام ١٩٣٦م؛ استعانت الحكومة الاستعمارية في

(١) عواطف عبد الرحمن، مقدمة في الصحافة الإفريقية، الجمعية الإفريقية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٤٥.

(٢) Jimmy Ocitty, media and democracy in Africa:mutual political bedfellows or implacable arch-foes,Havard Univercity,Cambridge,1999, page 13.

(٣) عواطف عبد الرحمن، مرجع سابق، ص٤٥.

(٤) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٥) المرجع السابق، ص (٥١-٥٢).

جنوب إفريقيا، بخبراء هيئة الإذاعة البريطانية، في إنشاء هيئة الإذاعة الجنوب إفريقية SABC.

وانتشر الراديو في أماكن أخرى من إفريقيا؛ في كينيا عام ١٩٢٧م، وفي روديسيا الجنوبية (زيمبابوي حالياً) عام ١٩٣٢م، وفي موزمبيق عام ١٩٣٣م، وفي الكونغو الفرنسية عام ١٩٣٥م.

أما المستعمرات البريطانية في غرب إفريقيا فقد بدأ البث: في سييراليون في عام ١٩٣٤م، وفي ساحل الذهب (غانا حالياً) عام ١٩٣٥م، ونيجيريا في عام ١٩٣٦م، ولم يكن البث في مستعمرات غرب إفريقيا لاسلكياً أول أمره، بل كان يتمّ بربط محطة البث بمكبرات صوت مثبتة في أسقف منازل السكان، واستمر هذا الوضع إلى أن قررت الإدارة البريطانية مدّ خدمة البث الإذاعي اللاسلكي لجميع مستعمراتها، كخدمة عامة للسكان المحليين[١].

وإبان الحرب العالمية الثانية؛ تسابقت الدول الأوروبية، المتصارعة، في استخدام الإذاعات الموجهة، كوسيلة لبث الرسائل إلى شعوب الدول الأخرى، سواء كانت حليفة، أو عدوّة، لأغراض كسب التأييد، أو الدعاية ضد الآخر، أو الحرب النفسية..

وهكذا؛ فإنّ كثير من الإذاعات الوطنية الإفريقية، وُلدت في أجواء الحرب، ومنها الإذاعة السودانية، والإذاعة في روديسيا الشمالية (زامبيا الآن)، اللتان كان الهدف من إنشائهما هو نقل الأخبار، ورفع الروح المعنوية للجنود الذين شاركوا في الحرب إلى جانب الحلفاء، في آسيا وإفريقيا.

أما وكالات الأنباء؛ فقد كان أول ظهور لها في إفريقيا إبان الحقبة الاستعمارية، وكانت عبارة عن مكاتب فرعية لوكالات الأنباء الأوروبية، مثل رويترز، التي لم تكتف بفتح مكتب لها في جنوب إفريقيا، بل أسهمت أيضاً في تأسيس وكالة الأنباء المركزية في جنوب إفريقيا، التي كانت من قبل مجرد جمعية للصحافة، وأصبحت، بعد ذلك، مزوِّداً أساسياً لصحف إفريقيا، وروسيا، بالأنباء والأخبار المحلية في إفريقيا[٢].

• المرحلة الثانية: دكتاتوريات ما بعد الاستقلال:

خلال عقدَي الخمسينيات والستينيات، من القرن الماضي، نالت معظم الدول الإفريقية استقلالها، بعد نضال مضني وطويل، وقدّمت فيه الدماء والأرواح.

بعد الاستقلال؛ أصبح معظم قادة النضال زعماء للأمم الجديدة في إفريقيا؛ جومو كنياتا في كينيا، وجوليوس نيريري في تنزانيا، وناميدي أزيكوي في نيجيريا، وليوبولد سنغور في السنغال، وهم الذين كما كانوا قادةً للنضال؛ كانوا قادةً للصحافة الوطنية ومؤسسين لها.

ولكن إفريقيا المستقلة- حديثاً- عن سيطرة الدول الاستعمارية، سرعان ما سقطت، بأغلب أجزائها، في قبضة الدكتاتوريات الجديدة، التي تقوم على نظام الحزب الواحد، وآلت معظم المؤسسات الإعلامية من صحف وإذاعات إلى سيطرة الدولة، التي توسعت في سياسة تملُّك الصحف المستقلة والخاصة، بالتأميم أو الشراء، وتحويلها إلى صحف رسمية ناطقة باسم الدولة.

وفي هذه الحقبة؛ ظهر نمط من الصحافة أُطلق عليه (الصحافة الريفية)، ومثلت منافساً حقيقياً للصحف التبشيرية، وكانت البداية في كلٍّ من ليبيريا والنيجر، حيث أسست حكوماتهما أول الصحف الريفية في إفريقيا في العامين ١٩٦٣م و١٩٦٤م على التوالي، ودفع نجاحها العديد من البلدان الإفريقية لتبني هذا النمط، وبحلول عام ١٩٧١م بدأ ما مجموعه ١١ دولة إفريقية بإصدار الصحف الريفية، ولكن تأثير هذا النمط ظل متواضعاً، وفقاً لما أظهرته دراسة استقصائية أجرتها اليونسكو في عام ١٩٧٧م[٣].

وبالنسبة للإذاعة؛ كانت المحطات الرسمية هي سيد الموقف، وفي أغلب البلدان الإفريقية كانت هي الوحيدة

(١) Graham Maytton, A Brief History of Radio Broadcasting in Africa, British Council, page 2-4.

(٢) عوض إبراهيم عوض، خطوات وآليات بناء المؤسسات الإذاعية، إفريقيا نموذجاً، مجلة دارسات إعلامية، جامعة إفريقيا العالمية، العدد ١، يناير ٢٠١٦م، ص٣٣.

(٣) Jimmy Ocitty, media and democracy, page 18-19.

التي تحتكر البث، ما عدا بعض الدول التي سمحت بمحطات خاصة تجارية، وفي الغالب؛ كانت هذه الإذاعات تبث محتوى متمثل في الأغاني والموسيقى والمواد الترفيهية.

ولم يبدأ البث التلفزيوني في إفريقيا إلا في ستينيات القرن الماضي، وكان محدوداً جداً ومحصوراً في المناطق الحضرية، لأسبابٍ متعلقة بالمدى الذي يصله البث، وانتشار الكهرباء، والقدرة المالية على شراء أجهزة الاستقبال للفضائيات ، بينما ظلت الإذاعة في الريف هي سيد الموقف؛ من حيث الانتشار في أغلب مناطق إفريقيا، الحضرية منها والريفية.

من جهة أخرى؛ اتجهت الدول الإفريقية إلى تكامل الجهود بمشروعات إقليمية في مجال البث الإذاعي، فتأسس في مدينة لاغوس النيجيرية عام ١٩٦٢م اتحاد الإذاعات الإفريقية، وضمّ أربع عشرة دولة هي: (مصر، والجزائر، وليبيا، والجابون، وغانا، وبوركينا فاسو، ومالاوي، والسنغال، وموريتانيا، والنيجر، ونيجيريا، وتنزانيا، وتوغو)، وكان يجتمع مرّة كل عام، ليقوم بدور التنسيق بين الإذاعات المسموعة والمرئية للدول الأعضاء فيما بينها، وبينها وبين المنظمات الدولية الأخرى، بجانب تنفيذ مشروعات لتطوير الخدمات الإذاعية والتلفزيونية[١].

ومن جانب آخر؛ اتجهت الحكومات الإفريقية إلى إنشاء وكالات أنباء رسمية مملوكة للدولة، وكانت تقوم بهمة جمع الأخبار الداخلية وبثّها لوسائل الإعلام المحلية، والمصالح الحكومية، والمؤسسات التجارية، والجهات التي ترغب بالحصول على هذا النوع من الخدمات، كما تستقبل أيضاً الأخبار العالمية وتعيد توزيعها على المشتركين في الداخل[٢].

• المرحلة الثالثة: التعددية السياسية والتحول الديمقراطي:

في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات، من القرن الماضي، شهد العالم تهاوي عدد من الدكتاتوريات العتيقة في معظم قارّاته؛ نظام ماركوس في الفلبين، وشاوسيسكو في رومانيا، وبينوشيه في شيلي، وهايلي مريام في إثيوبيا، هذا بالإضافة إلى التحولات السياسية الكبرى في العالم، المتمثلة في انتهاء الحرب الباردة، بسقوط المعسكر الشيوعي، وانهيار الاتحاد السوفييتي، وانفراد النموذج الليبرالي الغربي بالهيمنة على العالم، بجانب الكوارث الكبرى، مثل موجة الجفاف والمجاعة التي ضربت إفريقيا في منتصف الثمانينيات، وما نجم عنها من مشكلات اقتصادية.

كل هذه التحولات دفعت باتجاه ممارسة ضغوط على أنظمة الحزب الواحد في إفريقيا، ولعبت الصحافة، جنباً إلى جنب مع المنظمات النقابية والطلاب، في مغالبة الدكتاتوريات العتيقة، التي أُجبرت، في نهاية المطاف، على التنازل والسماح بالانتقال نحو التعددية السياسية، عبر انتخابات نزيهة، خاضعة للمراقبة الدولية، فعادت الأحزاب السياسية للعمل في العلن وبحرية أكبر، ونشطت منظمات المجتمع المدني.

وفي هذا المناخ، من الانفتاح السياسي والاقتصادي، انتعشت المؤسسات الإعلامية، وتعددت المنابر الحزبية والنقابية، والخاصة، وصار لها وجود ودور مؤثر في الجمهور.

يقول كوامي كاريكاري، أستاذ الصحافة والاتصال الجماهيري في كلية دراسات الاتصال بجامعة غانا: «منذ تسعينيات القرن الماضي؛ نمت وسائل الإعلام المستقلة مثل عشب السافانا بعد هطول الأمطار الغزيرة بعد جفاف طويل. في غرب إفريقيا، وفقاً لدراسة أُجريت عام ٢٠٠٦م، برعاية لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية لإفريقيا ECA، كان هناك أكثر من ٥٠٠٠ صحيفة ومحطة إذاعية وتلفزيونية في ١٥ دولة»[٣].

(١) عوض إبراهيم عوض، مرجع سابق، ص٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص٣٣.

(٣) Kwame Karikari, - August 2010-,African media breaks the "culture of silence", Africa Renewal, https://www.un.org/africarenewal/magazine/august-2010/african-media-breaks-0-99%80%98culture-silence%E2%80%%E2

وفي تلـك الحقبـة أيضاً؛ حـدث متغيـران تقنيان كبيران، أثـرَا بدرجةٍ كبيرة في قدرة وسـائل الإعلام على التأثيـر، عالمياً، وفي إفريقيا بصفـةٍ خاصة، وهما: (البث التلفزيونـي الفضائي المباشـر) عبر الأقمـار الصناعية، وانتشار استخدام شبكة الاتصالات الدولية (الإنترنت)، التي أنتجت ما عُـرف لاحقاً بـ(الإعلام الجديد)، وما أحدثه من تحولات، خلال العشريّتَين الأولى والثانية، من القرن الحادي والعشـرين، بقدرته الفائقة على التمدد والانتشار والهيمنة على الجمهور.

ثالثاً: المؤسسات الإعلامية الإفريقية بين السيطرة والحرية:

بالتطبيق علـى نموذج نظريات الإعـلام الأربع، التي تحـدّث عنها خبـراء الإعلام؛ فريـد سـيبرت، وثيودور بيترسـون، وويلبر شـرام، فـي كتابهم الـذي حمل عنوان (نظريات الصحافة الأربع)، فإنّ النظرية التي كانت سـائدة فـي إفريقيا، خـلال الحقبة الاسـتعمارية، وحقبة ما بعد الاسـتقلال وسـيطرة الحزب الواحد، كانـت هي «نظرية السـلطة»، التي ترى أنّ الإعلام لابدّ أن يكون صوتاً للسلطة السياسـية، وداعماً لخطها، فالصحفي يعمل وفقاً للامتياز الذي منحه إياه الحاكم.

وفي ظـل هذه النظرية؛ تصبح السـلطة الحاكمة هي المسـيطرة على وسائل الإعلام، سـواء بالتبعية المباشرة، أو بالسـيطرة عليها من خلال التحكم فـي تدفق الأخبار، والمعلومات، والرقابة، ومنح التراخيص وسحبها.

وعلى الدوام؛ كانت أدوات السـيطرة، التي تستخدمها السـلطة الاسـتبدادية في إفريقيا، سـواء كان في الحقبة الاستعمارية، أو في حكومات ما بعد الاستقلال ذات الحزب الواحد، كانت:

- الرقابـة على الأخبـار والمحتـوى الإعلامي، قبل النشر، أو بعده.
- القوانيـن المقيدة للحريـات الصحفية، وكانت تلك القوانيـن في إفريقيا بالذات تتميـز بحدود هلامية، تُمكِّن السلطة الحاكمة من تفسيرها بالشكل الذي يلائم توجهاتها.
- فرض الرسوم والضرائب على المؤسسات الإعلامية، بحيث تُشكّل عائقاً كبيراً أمام انتشارها.
- السـيطرة عن طريق الاسـتيلاء والتملك، سواء كان بالشراء، أو المصادرة والتأميم[1].

وهذا النمـوذج كان متمثلاً بوضوح فـي إفريقيا، كما أسـلفنا، ففي الحقبة الاسـتعمارية كانـت الصحافة إما مملوكة للسلطة الحاكمة، وإما مملوكة للمستوطنين البيض، والمنصرين المرتبطين بتلك السلطة، وكانت معظم الصحف اليومية تخضع بشـكلٍ مطلق لسيطرة الاسـتعمار الغربي في إفريقيـا، بما في ذلـك الصحف التـي كان يصدرها رجـال الأعمال والتجار الأوروبيـون الذين كانوا يأملون في الاسـتمتاع بنفس درجة الحرية المتاحة في أوروبا، وكانت درجة السـيطرة تختلف باختلاف النطاق الاستعماري، ففي المناطق الفرانكفونية (المستعمرات الفرنسية والبلجيكية) كانت السيطرة أكثر تشـدداً، وتتفاوت أشكالها بين الرقابة المباشـرة من خلال القوانين والقيود العديدة، فالسـلطة الاستعمارية، حتى ثلاثينيات القرن الماضي، لم تكن تسمح إلا للفرنسـيين فقط بإنشاء الصحف.. هذا بجانب الرسوم المفروضـة على اسـتيراد مدخلات الطباعـة، وهو الأمر الذي عوّق بشـكلٍ كبير نشـوء الصحف الإفريقية الوطنية، بعد السماح بها في المنطقة الفرانكفونية، بينما كانت تُعفي صحـف باريس من تلك الرسـوم تسـهيلاً لوصولها للدول الإفريقية[2].

أما في مناطق النفـوذ البريطاني، فقد كان الأمر أقل تشدداً، وهو ما سـمح نوعاً ما بازدهار الصحافة في وقتٍ مبكر، لكنها مع ذلك كانت خاضعةً للسيطرة من خلال القيود والقوانين، التـي كانت في كثير من الأحيان واسـعةً وغير محددة، وتسمح للحاكم ورجال الإدارة البريطانية بتفسيرها حسـب رؤيتهم، مثال ذلك ما عُرف بـ(قانون الجريمة العام)

(١) انظر: لبنى مهدي (٤ مارس ٢٠٢٠)، ما هي العوامل المؤثرة على إدارة المؤسسات الإعلامية، مقال منشور بموقع: e عربي:
https://e3arabi.com/%D8%A7%D9%84%D8%A5%%D9%D9%%/85%84%D8%A7%D9%D8%B9%D9

(٢) عواطف عبد الرحمن، مصدر سابق، ص (٤٦-٤٧).

في غانا، الذي كان يعطي الحاكم صلاحية منع دخول أي مطبوعات أجنبية، تشمل الصحف والكتب والوثائق التي يمكن أن تحتوي على مضامين مهددة للصالح العام، وقريب من هذا الأمر كان في نيجيريا.

وفي شرق إفريقيا استخدمت الإدارة البريطانية الرقابة، تحت إشراف إدارة العلاقات العامة التابعة لمكتب الحاكم البريطاني، خاصةً في المناطق الناطقة بالسواحيلية، بالإضافة إلى فرض الرسوم الباهظة على الصحف والمطبوعات، وفرض قانون الطوارئ في بعض الأحايين، مثل ما حصل في كينيا، إبان ثورة (الماو ماو) عام ١٩٥٢م، استندت السلطة الاستعمارية على قانون الطوارئ لتقوم بمصادرة حوالي ٥٠ نشرة وصحيفة، كانت تمثل مجمل الصحافة الوطنية في كينيا[١].

وبعد الاستقلال؛ استخدمت الحكومات الوطنية الجديدة أسلوب تملك المؤسسات الإعلامية لصالح الدولة، ففي غانا- على سبيل المثال- اشترت الحكومة «الديلي وصنداي غرافيك» وحولتها إلى ناطق رسمي باسم الحكومة، على الرغم من أنها كانت الصحيفة المستقلة الأكثر شعبية في البلاد.

وفي تنجانيقا (تنزانيا)؛ قامت الحكومة بعمل مماثل، مع صحيفة «تنجانيقا ستاندرد» التي تحولت إلى ما يحب الصحفيون أن يطلقوا عليه «مطبعة الكلاب»!.. وفي غضون سنوات قليلة؛ كان الصحفيون الزامبيون في وضع مشابه بعد أن استحوذت الحكومة على صحيفة «سنترال أفريكا ميل» من مُلاكها وأعادت تسميتها بـ«زامبيان ميل»، وحلّ نفس المصير بصحيفة «تايم أوف زامبيا» التي اشترتها الحكومة ضمن جهودها لتحقيق مركزية نشر المعلومات الحكومية.

ولم تكن غرب إفريقيا بأسعد حالاً من شرقها ووسطها، ففي السنغال كان حظ صحيفة «داكار ماتين» أن تحلَّ محلها «لو سولي دي سنغال» اليومية الموالية للحكومة، وفي غينيا أُخضعت جميع وسائل الاتصال تقريباً لسيطرة الحكومة، أما الحكومة الفيدرالية النيجيرية فقد أنشأت مجموعتها الخاصة من الصحف.

(١) المصدر السابق، ص ٤٨.

وساهم في هذا الوضع المأساوي غياب التعددية السياسية عقب الاستقلال في بعض الدول، أو قِصَر فترتها في دول أخرى من القارة، بسبب الانقلابات العسكرية التي مثلت ظاهرة في إفريقيا خلال عقدَي الستينيات والسبعينيات.

ويسجل وليام هاشتين: أنه خلال السنوات الخمس والعشرين الأولى، التي تلت نيل الدول الإفريقية حريتها، تمّ عزل ما مجموعه ٧٠ زعيماً في ٢٩ دولةً من خلال الاغتيالات والانقلابات وعمليات التطهير، ويضيف أنه من بين ٤١ دولةً إفريقية مستقلة هناك ٧ دول فقط مسموح فيها للمعارضة السياسية بالعمل، و١٧ دولةً محكومة بنظام الحزب الواحد، و١٧ دولةً أخرى محكومة بأنظمة عسكرية[٢].

ولذلك؛ كان نهج المصادرة والتأميم ملمحاً أساسياً في المشهد الإعلامي الإفريقي في تلك الحقبة، وفي أغلب البلدان كانت السلطة تحتكر البث الإذاعي، عبر محطاتها الرسمية، والتلفزيون كان قومياً كذلك، وكانت الصحف اليومية تحت سيطرة الدولة، بل إنّ بعض دول إفريقيا لم تعرف الصحف اليومية إلا في عقدَيالثمانينيات والتسعينيات، مثل النيجر وغامبيا ١٩٩٢م، وليبيريا ١٩٨١م[٣].

ويرى د. جورج أوغولا، وهو محاضر أول علم الصحافة في جامعة سنترال لانكشير، أنّ أغلب الحكومات الإفريقية، التي جاءت عقب الاستقلال، عمدت إلى القضاء بشكل منهجي على وسائل الإعلام الخاصة، فضخّت استثمارات ضخمة في وسائل الإعلام المملوكة للدولة؛ حيث كان ينظر إليها باعتبارها وسائل مهمة لإدارة السلطة، وأنها بامتلاكها للإعلام الشعبي تمكنت من «خلق» الحقيقة أو نزع الشرعية عنها وقتما تراها خطراً على الوضع الراهن.

ويضيف أوغولا: «على سبيل المثال: تحكمت الحكومة الكينية في الإعلام الشعبي عبر التملك، خلال حكم «جومو

(٢) William Hachten, The Growth of Media in the Third World, Iowa State University Press, page 30.

(٣) Kwame Karikari, (August 2010), previouse reference.

كيناتـا»، ومن بعده «دانيال أراب مـوي»، وهو ما مكنها من تحديد أي من تلك الأخبار شـرعية وأيها ليسـت كذلك.. وفي السنوات الأخيرة من رئاسة «موي»، وخلال حكم «مواي كيباكي»، كان التملك يجري مـن خلال وكلاء، أما «أوهورو كينياتـا»، فهو المالك المباشـر لمجموعـة إعلامية تضم صحفاً وقنوات إذاعية ومحطـات تلفزيونية»، ويرى أوغولا أنّ الوضع تغيّر إلى الأفضل خلال العقدين الأخيرين، اللذين شهدَا نقلةً كبيرة بسبب عملية تحرير القطاع الإعلامي التي كان لها أثرٍ محفز على نمو وسائل إعلام خاصة ذات ثقل[١].

رابعا: المؤسسات الإعلامية وأزمة الحريات الصحفية:

على الرغم من مضي أكثر من سـتة عقود، أو خمسـة على الأقل، منذ أن نالت أغلب الدول الإفريقية اسـتقلالها، وعلى الرغم من تحول أغلب تلك الدول، خلال الثلاثين عاماً الماضية، إلى التعددية الحزبية، وانحسار أثر الدكتاتوريات العتيقـة في القارة، فإنـه لا تزال ٢١ من أصـل ٤٨ دولة إفريقيـة قابعةً فـي منطقة اللون الأحمر أو الأسـود على خريطة ٢٠٢٠م للتصنيف العالمـي لحرية الصحافة، الذي أشرفت على إعداده منظمة «مراسلون بلا حدود».

ويشير التقرير إلى الظروف الصعبة للغاية، بل الحرجة في بعض الحالات، التي يعيش فيها الصحفيون والصحفيات في هذه القـارة.. ويرى أنّ حرية الصحافة لا تزال هشـةً للغاية في إفريقيا جنوب الصحراء، فعلى الرغم من سقوط العديـد من الطغاة والأنظمة الاسـتبدادية في السـنوات الأخيرة؛ فإنّ الصحافيين في إفريقيا ما زالوا يُقتَلون بسبب عملهم، وتمرّ هذه الجرائم، عادةً، دون عقاب!. وحسب أرقام منظمة «مراسلون بلا حدود»، شهدت القارة مقتل أو اغتيال ما لا يقل عن ١٠٢ من الصحفيين على مدى العقد الماضي.

وأحصت «مراسـلون بلا حدود» مـا لا يقل عن ١٧١ اعتقالاً تعسـفياً في أوساط الصحافيين في إفريقيا جنوب الصحراء خلال عام ٢٠١٩م، وقد تكرر هذا السـيناريو في أكثر من نصف دول القارة، حيث سُـجلت اعتقالات من هذا النوع حتى في بعض البلـدان، حيث ألغت القوانين المحلية تجريم جُنح الصحافة منذ مدة[٢].

أدت هذه الضغوط والهجمات على حرية الصحافة إلى ظهـور منظمات الدفاع عن الصحافييـن، في جميع أنحاء القارة، ومن أشـهرها: معهد الإعلام لجنـوب إفريقيا في ويندهوك، والمؤسسة الإعلامية لغرب إفريقيا ومقرها أكرا، وجـدول أعمال حقوق الإعلام فـي نيجيريا، و«الصحفيون المعرضون للخطر في كينشاسا»[٣].

خامسا: التحكم في مؤسسات الإعلام.. الأدوات المؤثرة:

هناك تداخل كبير بين مفهوم (السـيطرة) على وسائل الإعلام، و(التحكُّم) فيها، ولكن وجه الاختلاف، في تقديري، هو أنّ «السيطرة» غالباً ما تكون مرتبطة بالإخضاع القسري للمؤسسـات الإعلامية، إما بالتملك الكامل، وإما باستخدام عناصر القوة كالسـلطة، والقانون، والمنع والعقاب، وغيرها من الأسـاليب التي تسـتخدمها الحكومات في قمع وسائل الإعـلام.. في حين أنّ «التحكم» مرتبـط بتوجيه المحتوى الإعلامي نحو الأهداف التي تريدها القوى المتحكمة، التي قد تكون سـلطة حاكمة، أو أفراداً ذوي نفوذ، أو مجموعات مؤثرة (شـركات، منظمات، أحزاب سياسـية) إلخ، أو دول خارجية، ويسـتخدم «التحكـم» القوى الناعمـة أكثر من الخشنة.

وأهـم المؤثـرات المساعـدة علـى التحكـم فـي مؤسسـات الإعلام هي:

١- الهيمنة الثقافية والأيديولوجية أو الوظيفية (التبعية).

---

(١) Africa has a long 31-/3/George Ogola -2017 history of fake news, the conversation.com, https://theconversation.com/africa-has-a-long-history-of-fake-news-after-years-of-living-with-non-truth-73332

(٢) مراسلون بلا حدود، تصنيف ٢٠٢٠: مستقبل الصحافة الإفريقية مهدَّدٌ من كل حدب وصوب، موقع مراسلون بلا حدود: https://rsf.org/ar/tsnyf-2020-mstqbl-lshf-lfryqy-mhdwadun-mn-kl-hdb-wswb

(٣) Kwame Karikari, -August 2010-, previouse source

٢- التدفق الإخباري والمعلوماتي.

٣- التمويل.

٤- الدعم الفني: فرص التدريب، والتطوير، والبنى التحتية، إلخ.

ونناقش هذه العوامل؛ ضمن استعراضنا للاعبين الفاعلين في مجال التحكم بوسائل الإعلام ومؤسساته في إفريقيا.

١- التبعية:

هناك شبه إجماع بين الباحثين المهتمين بمفهوم (التبعية)، أمثال هوبرت شيللر، وكارل نورد تستريم، وبالاس سميث، وراكيل سايلانس، ولينا بالدان، على تشخيص جوهر التبعية الإعلامية الثقافية في العالم الثالث، وإرجاعها إلى عوامل تاريخية تتعلق بالسيطرة الاستعمارية الغربية[١].

ارتباط التبعية، تاريخياً، بالسيطرة الاستعمارية، يقودنا للحديث عن مفهوم النطاقات الثقافية في إفريقيا، حيث انتهى السباق الاستعماري الأوروبي في إفريقيا إلى أن تحوز بريطانيا وفرنسا معظم المستعمرات في القارة السمراء، ما جعل إفريقيا أسيرة لهذين النمطين الاستعماريين، اللذين تحولّا إلى نطاقات ثقافية كبيرة.

فالنطاق الفرانكفوني يضمّ المستعمرات الفرنسية والبلجيكية، التي كان غالبها في غرب إفريقيا وشمالها، وبجانب بعض المستعمرات في وسط إفريقيا، مثل تشاد والكاميرون، وإفريقيا الوسطى، والكونغو، وبعض مناطق شرق إفريقيا، مثل جيبوتي، وجزر القمر.

أما النطاق الإنجليزي؛ فقد كان يمتد في شكل شريط يطوّق القارة من شمالها إلى جنوبها، ويضمّ المستعمرات الكبرى في شمال إفريقيا ووسطها وشرقها وجنوبها، وعدداً لا بأس به من المستعمرات في غرب إفريقيا، مثل نيجيريا، وغانا (ساحل الذهب)، وغامبيا.

تمثل هذه النطاقات مناطق ثقافية بحكم اللغة الاستعمارية، التي كانت هي لغة التعليم ولغة التعاملات الرسمية في الدولة، ولغة التفاهم العام في المدن التي تجمع إثنيات ولغات محلية متعددة، وهي أيضاً كانت لغة الإعلام.

بطبيعة الحال؛ أصبح لدينا نطاق ثقافي فرانكفوني، ونطاق ثقافي إنجليزي، وهذا بدوره أنتج نظامين إعلاميين مختلفين تماماً، ويظهر ذلك على مستويات عدة:

أ- **ثقافياً وفكرياً**: بحكم أنّ اللغة ناقل ثقافي، كان الإعلام الإفريقي، وما يزال في كثير من الدول، أكبر مروّج للثقافة الغربية، من حيث تشبعه بالتبشير بقيم الحضارة الغربية، ونقل أخبار المجتمع المخملي في أوروبا، وحتى الآن ما زال الصحفيون يقبلون بشكلٍ كبير بوصاية المنظمات الغربية، التي أصبحت تحدد لهم أجندة أعمالهم: عن ماذا يدافعون، وماذا يحاربون.

ب- **وظيفياً**: يظهر ذلك بشكل خاص في هيكل سوق الإعلام، وأسلوب ممارسة الصحافة، والأطر القانونية، ووظائف وسائل الإعلام، وشكلها المؤسسي، والمدارس الصحفية كلها كانت مستوحاة من النماذج الإنجليزية والفرنسية.

ومن ناحية المحتوى؛ تشير دراسة مقارنة لـ«بريس رامبو» إلى أنّ الصحافة الحالية في المستعمرات الفرنسية السابقة، تتميز بالميل نحو صحافة الرأي، والتمييز القليل بين نقل الحقائق والتعليق عليها، والميل من جانب الصحافيين للتفكير في وظيفتهم «كخدمة عامة» يُعتبر اعتراف الحكومة بها، أو حتى الدعم المادي والمالي من الحكومة، أمراً إيجابياً.

بينما تتبع الصحافة في مناطق الثقافة الإنجليزية منهجاً يقوم على التمييز القوي بين الجودة المهنية للصحافة، والصحافة الشعبية، ويفصل بين التقارير التي تعتمد على الوقائع، وبين تحليل تلك الوقائع، كما يتميّز بنظرة إلى الصناعة تعتمد على تطوير المنتج المتداول في السوق، ويعتبر استقلاليته عن الدولة صفة يتمّ الدفاع عنها بشدة[٢].

(١) عواطف عبد الرحمن، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت، ١٩٨٤، ص٣٥.

(٢) Selfie Capitan, Marie Soleil Frere, The African

٢-التدفق الإعلامي:

أدى نشـــاط وكالات الأنباء العالمية في صناعة المادة الإعلامية ونشـــرها، إلـــى إغراق العالم بســـيل جارف من المعلومات والأخبـــار، نتيجة لضخامـــة الإمكانات المالية المهنية والتقنية للمؤسســـات الإعلامية الغربية، في مقابل ضعف تلك المؤسسات في العالم الثالث، فقد أصبحت هي مزوّد الأخبار الأساســـي لدول العالم الثالث، حتى بالنسبة لأخبار الأحداث التـــي تقع على أرضه، كانت وكالات الأنباء تتلقفها، عبر الأعداد الهائلة من المراســـلين المنتشرين في أنحائها، الذين يمدون المؤسســـات الإعلامية الغربية بتلك الأخبار والمعلومات، لتعيد صياغتها، وتفســـيرها بما يلائم أهدافها الثقافية، ومصالحها الاقتصادية والسياسية، وتدفع بها إلى دول المنشـــأ من جديد، وهو أمر يسهم بشكلٍ كبير في تشـــكيل العقل، وتحوير الثقافة بشـــكلٍ يصب في خانة «التبعية الثقافية».

هـــذه الوضعيـــة أدت إلى الدفع بمصطلـــح جديد في الوســـط الإعلامي الأكاديمي والسياســـي، هـــو مصطلح (التدفق الإعلامـــي)، الذي يناقش ظاهـــرة انعدام التوازن في التبادل الإعلامي بين دول الشـــمال (العالم الأول) ودول الجنوب (العالم الثالث).

وبدَا واضحـــاً أنّ التدفق الإعلامي ليـــس تبادلاً للمعلومات ومشـــاركة عامة، كما يحاول العالم الأول أن يصوره، ولكنه تدفق آحـــادي الاتجاه، من المركـــز إلى الهامش، أو من الشـــمال إلى الجنوب، وذلك بسبب امتلاك دول المركز ناصية التقانة الاتصالية المتطورة، وقدرتها على تسخير الأموال الضخمة لصالح الصناعة الإعلامية، وهو أمـــرٌ لا يتوفر لدول الهامش، فتحولت إلى مصبّ لهذه الرسائل الإعلامية الواردة من دول المركز.

وخلال ســـبعينيات القـــرن الماضي؛ أصبـــح (التدفق الإعلامـــي) قضية دولية شـــغلت نقاشـــات وزراء الاتصال والإعلام، ونشأ ما عُرف في تلك الحقبة بـ(الحوار الإعلامي الدولي)، الذي دخلت فيه اليونســـكو بصفةٍ أساسية، انتهت

Media Landscape: A Topical Introduction, Afrique contemporaine magazine, Volume 240, April 2011, pages from 25-41.

أمام المؤسسات الإعلامية الإفريقية تحدي «العمل على تكامل الجهود» لتحقيق رؤية إعلامية كلية للقارة، تستهدف تنميتها، والدفاع عن قيمها الفاضلة

بها إلى تشـــكيل لجنة خاصة لتقوم بعمل دراســـات وتقديم توصيـــات حول هذا الموضوع، برئاســـة الايرلندي (شـــين ماكبرايد)، الحاصل على جائزة نوبل للســـلام، بدأت اللجنة عملها عام ١٩٧٧م، وأصدرت تقريرها عام ١٩٨٠م، أي بعد ثلاث سنوات من تكوين اللجنة.

وبجـــلاءٍ تام؛ أكد التقرير، الـــذي جاء بعنوان (أصوات متعـــددة وعالـــم واحـــد)، وجود خلـــل في مســـار التدفق الإعلامي، حيث قال: «إننا نعتقد أنّ ما يُعرف باسم «التدفق الحر للإعـــلام» هو في حقيقة الأمر تدفق في اتجاهٍ واحد، وليس تبادلاً حقيقياً للمعلومات»[(١)].

وأكد التقرير أنّ مبدأ «التدفق الحر» ممكن أن يُستخدم بوصفـــه أداةً أيديولوجية واقتصادية للســـيطرة على من لم تتوفر لديهم هذه الوسائل.

ودعَـــا التقرير إلى اســـتبدال الاتصال من جانب واحد ليكون شاملاً من جانبين، وأن تُقدّم البلدان المتقدمة العون للبلـــدان الراغبة لتقوية قدرتها في ميـــدان الاتصال، وإلى ضمان حق الـــدول النامية في إنشـــاء أنظمة إعلام وطنية مستقلة عن احتكارات الإعلام المتعددة الجنسية.

ولكن الدول المتقدمة، وعلى رأســـها الولايات المتحدة الأمريكية، عملت على إفشال الحوار، برفضها لنتائج تقرير

(١) انظر: شون ماكبرايد وآخـرون، أصـوات متعددة وعالم واحـد، تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال، اليونسكو، الشركة الوطنية للنشر والـتوزيـع، الجزائر، ١٩٨١م، ص٣٠٢.

لجنة ماكبرايد، وتوجيه إعلامها للهجوم عليه بطرق شتى، وعلى اليونسكو بشكل عام.

٣- التمويل:

ويُعد التمويل، سواء كان دعماً مباشراً، أو عن طريق الإعلانات، واحداً من أهم أدوات التحكم في المؤسسات الإعلامية، وفي كثيرٍ من الأحيان تعمد الحكومات إلى استخدام الإعلانات الرسمية سلاحاً للتحكم بمحتوى وسائل الإعلام الخاصة، حيث تعتمد مؤسسات الإعلام بشكلٍ أساسي، في استمرارها، على عائدات الإعلان، أو الرعاية، فنسبة المبيعات لا تمثل شيئاً يُذكر بجانب تكاليف الطباعة والإنتاج.

وفي إفريقيا؛ ما زالت الدولة هي المعلن الأكبر، والأوحد في بعض الأحيان، واشتهرت الحكومات في بعض أجزاء إفريقيا، مثل كينيا وجنوب إفريقيا، بسحب الإعلانات من الصحف التي تمارس النقد عليها[١].

وبالاتجاه العكسي؛ يسهم ضعف التمويل في التحكم بالمؤسسات الإعلامية في إفريقيا، بنفس الدرجة التي يسهم بها التمويل، فمعظم المؤسسات الإعلامية الإفريقية التي تعاني شح الموارد تعجز أن تدفع لمراسليها، فيجدون أنفسهم مدفوعين إلى الاعتماد على مصادرهم مقابل تقديم التغطية الإيجابية عنهم، فعلى سبيل المثال: معظم الصحف في نيجيريا لا تدفع رواتب لموظفيها، وبدلاً من ذلك يتوقعون أن يكسب صحافيوهم لقمة العيش عن طريق طلب الرشاوى من مصادرهم[٢].

هذا الواقع أدى بمعظم المؤسسات الإعلامية المستقلة إلى الاعتماد بشكلٍ كبير على استقطاب التمويل الوارد من خارج الحدود، سواء من حكومات الدول الكبرى، أو من المنظمات والشركات والهيئات غير الحكومية، التي تستهدف تنفيذ مشاريع في القارة، تعزز من تأثير الاستعمار السابق، وتجعل الشعوب مستهلكة للقيم والمنتجات الغربية.

وخلص تقرير صدر عام ٢٠١٩م، عن المركز الأمريكي لمساعدة وسائل الإعلام الدولية، إلى أنّ حوالي ٦٠٠ مليون دولار أمريكي تُنفق سنوياً على تطوير وسائل الإعلام في إفريقيا من قِبل الممولين الحكوميين والخاصين. وأشار التقرير إلى أنّ المبلغ قد يتجاوز المليار دولار؛ إذا تم تضمينه نصيب إفريقيا مما تنفقه الصين على العمليات الإعلامية والتدريب على مستوى العالم[٣].

إنّ حاجة المؤسسات الإعلامية للتمويل الخارجي الذي يساعدها على البقاء، جعل محتوى رسائلها الإعلامية رهينةً برغبات المانحين، الذين يميلون إلى نشر القيم الغربية وتمويل التقارير الاستقصائية التي تركز على عددٍ قليل من الموضوعات التي تجذب اهتمام الغربيين في إفريقيا، مثل التقارير عن الجوع في القرن الإفريقي، أو الاتجار بالعاج في شرق إفريقيا، أو الفساد الحكومي في غرب إفريقيا، وفي المقابل يتمّ تجاهل المحتوى الذي يعمل على دعم القضايا القومية، مثل تنمية القارة، أو تحسين البيئة، أو الرعاية الصحية، أو نقد السياسات الخاطئة.

٤- الدعم الفني والتدريب:

من أشكال الدعم الذي تقدمه الهيئات الغربية، مثل بلومبيرغ إل بي Bloomberg L. P، مؤسسة فورد ford foundation، وشبكة أوميديار Omidyar network، توفير المنح الدراسية، والورش التدريبية، للصحافيين، حيث ينظر الغربيون إلى الصحافيين الأفارقة على أنهم يفتقرون إلى التأهيل والتدريب، بجانب أنّ التدريب يشكل وسيلة جيدة للغاية لتشكيل الرؤى، والتحكم بالاتجاهات، ولذلك تذهب معظم الأموال، المرصودة لدعم وسائل الإعلام الإفريقية، إلى الورش التدريبية، والمنح، والمشروعات قصيرة الأمد.

---

(١) George Ogola ,Africa has a long history of fake news.

(٢) Adewunmi Emoruwa (November 6, 2019): The mistakes donors make when funding African media,: https://mg.co.za/article/2019-06-11-00-the-mistakes-donors-make-when-funding-african-media/

(٣) Donor-funded journalism is on the rise in Africa: why it needs closer scrutiny, (June 2019), The conversation.com, https://theconversation.com/donor-funded-journalism-is-on-the-rise-in-africa-why-it-needs-closer-scrutiny-119894

وساهم ذلك بشكل كبير في تحويل قطاع من الصحافيين الأفارقة إلى عملاء يتصيدون المنح وفرص المشاركة في الورش التدريبية؛ طمعاً في العائد المادي الذي يجنونه منها، حتى أصبحوا محلاً للسخرية، وصاروا يلقبون بـ«محترفي حضور ورش العمل»، وبطبيعة الحال أثر ذلك على المهنية الصحافية بشكلٍ سلبي؛ عكس ما هو مفترض من الورش التدريبية أن تقدمه[١].

سادسا: اللاعبون الدوليون:

تشهد إفريقيا تنافساً إعلامياً دولياً عليها، وهو جزء من صراع مدّ النفوذ السياسي والاقتصادي، واستمراراً لتاريخ طويل من المشاريع الإعلامية، التي تطلقها الدول الكبرى في أمريكا وأوروبا وآسيا، منذ الحرب الباردة، حينما زاحمت موسكو وبكين القوى الاستعمارية الغربية في إفريقيا، بإطلاق محطتين إذاعيتين موجهتين إلى إفريقيا باللغات المستخدمة في إفريقيا، الإنجليزية والفرنسية، والبرتغالية، والسواحيلية، «ودخلت دول مثل الولايات المتحدة الأمريكية والبرتغال كذلك على الخط، بشأن الاهتمام الإعلامي تجاه المجتمعات والحكومات الإفريقية بعد ذلك، وهو ما شكل صراعاً إعلامياً دولياً قائماً إلى الحين بالقارة الإفريقية، وكان لفرنسا الاهتمام الأكبر في هذا الصراع الدولي عبر وسائل إعلام متعددة، كالجرائد والمجلات والإذاعات، وبعدها قنوات تلفزيونية ومواقع إلكترونية»[٢].

الصين في الملعب الإفريقي:

تعاظم النفوذ الصيني بشكلٍ ملحوظ في القارة الإفريقية، وتجاوز الجوانب الاقتصادية، أو تمدد النفوذ السياسي، بل استطاعت الصين أن تبني علاقات إيجابية مع عدد من المؤسسات الإعلامية الإفريقية، ففي جنوب إفريقيا مثلاً، ترتبط بعض الشركات والمؤسسات الإعلامية المحلية بالصين، حيث تملك الصين أكثر من ٢٠٪ من أسهم ثاني أكبر شركة إعلامية محلية، وهي المسؤولة عن توزيع أكثر من ٢٠ جريدة، وفي إحدى الحوادث الشهيرة ألغت إحدى هذه الجرائد، المرموقة محلياً، زاويةً ركّزت على «محنة مسلمي الأويغور» الذين يتعرضون لاضطهادٍ شديد في الصين[٣].

وتختلف المداخل التي تسلكها الصين في إفريقيا عن الأساليب الغربية، فهي لا تحاول فرض رؤيتها متجاهلة الحكومات، والسياسة الداخلية، والثوابت المجتمعية، بل تتبنى نبرةً أكثر إقناعاً وإيجابية، فهي لا تصادم وجهات النظر الرسمية، إلى جانب ذلك تعمل على تقديم إفريقيا في صورة أكثر إيجابية من الصور النمطية التي ميزت التغطية الغربية تاريخياً.

كل ذلك ساعد في بناء الثقة بينها وبين الإعلاميين الأفارقة، الذين اعتادوا من المؤسسات الغربية الحرص على فرض رؤيتها، متجاهلة طموحات الأفارقة والحاجات الأساسية للقارة الإفريقية، وجعل الإعلاميين ومؤسساتهم تميل للنقل عن المؤسسات الصينية، باعتبارها مصادر موثوقة للأخبار والتقارير.

إلى جانب ذلك؛ لم تغفل الصين «الدبلوماسية الإعلامية»، حيث ركّزت، بشكلٍ خاص، على استقدام الصحافيين الأفارقة إلى الصين بالمنح الدراسية، والتدريب، وورش العمل، والسياحة، بجانب توفير عروض سفر، مدفوعة الأجر، إلى آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية، فضلاً عن توظيفهم كمراسلين عن إفريقيا في وسائل الإعلام الصينية[٤].

سابعا: تأثير مؤسسات الإعلام في إفريقيا:

تاريخ طويل، ورحلة شاقة قطعتها مؤسسات الإعلام في إفريقيا، وفي جنوب الصحراء الكبرى على وجه الخصوص، عانت فيها القهر والاستبداد، وكافحت فيها من أجل الحرية، وتعثّرت وهي تعالج عقباتها وتحدياتها، فسقط في قبضة

(١) Adewunmi Emoruwa:The mistakes donors make when funding African media

(٢) إبراهيم الهواري (٢٩ ديسمبر، ٢٠١٦)، كيف تؤثر فرنسا في القارة الإفريقية عبر وسائل الإعلام؟، موقع ساسة بوست: https://www.sasapost.com/french_media_in_africa/

(٣) هيمنة إعلامية صينية على إفريقيا.. سياسة واقتصاد، تقرير منشور بموقع عرب ٤٨، بتاريخ ٢٠١٩/٠٨/١٤م: www.arab48.com.

(٤) انظر: محمد عثمان، الإعلام قوة الصين الناعمة في إفريقيا، مقال منشور بتاريخ: الخميس ١٤/فبراير/ ٢٠١٩، بموقع المركز العربي للبحوث والدراسات: http://www.acrseg.org/41115

أصحاب الأجنـدات، من المموليـن، والمانحين، المحليين والدوليين، ولكنها مع ذلك كان لها أثر كبير في حياة الناس في إفريقيا، سياسياً واجتماعياً وثقافياً، وللحديث عن ذلك الأثر؛ لابدّ من التعرّف على طبيعة الجمهور الذي استهدفته تلك المؤسسات بوسائطها.

نظرة إلى الجمهور الإفريقي:

بلـغ عـدد سـكان إفريقيـا فـي العـام ٢٠١٩م، (١,٣٠٨,٠٦٤,١٩٥) نسمة، حسب تقديرات الأمم المتحدة، وهو ما يمثل ١٦,٧٢٪ من إجمالي سكان العالم البالغ عددهم (٧,٧١٣,٤٦٨,١٠٠)، مما يجعل إفريقيا في المرتبة الثانية بين القارات من حيث عدد السكان، وهي أكثر قارات العالم شباباً، حيث يبلغ متوسط الأعمار (١٩,٧) سنة.

ويعيش حوالي ٤٣,٨٪ من سـكان إفريقيا في المناطق الحضرية، بينما يمثل سـكان المناطق الريفية ٥٦,٢٪ من إجمالي السكان[١].

وتشير إحصائيات اليونسكو، في العام ٢٠١٦م، إلى أنّ نسـبة المتعلمين في إفريقيا، جنوب الصحراء الكبرى، تبلغ ٦٥٪، من السـكان البالغين (فوق ١٥ سنة)، بمعنى أنّ ثلثي السـكان البالغين قادرين على القراءة والكتابة[٢]، ولم يتغيّر الرقم كثيراً في السنوات التالية.

وتعنـي هذه الإحصـاءات: أنّ أكثر من نصف سـكان إفريقيا يعيشون في الريف، حيث لا يتوفرون على الخدمات الأساسية بسهولة، لضعف البنية التحتية، فخدمات الكهرباء في أغلـب دول إفريقيا جنوب الصحـراء لا تتجاوز المدن كثيراً، ومن ثَم تقل فرص التمتع بمشـاهدة التلفاز، وكذلك شبكات الإنترنت، هذا بالإضافة إلى ضعف شبكات الطرق، الأمـر الذي يجعل من الصعب وصـول الصحف التي تبعد عن الطـرق القومية الرابطة بين المـدن، وإذا وضعنا في الحسـبان أيضاً أنّ نسبة السـكان الأميين- والتي إن كانت نسـبة المتعلمين أكبر منها فإنها ما تزال نسبة كبيرة- في الغالـب تتركز في الأريـاف، فكل ذلك يجعـل الراديو هو الوسـيط الأكثر حظاً من حيث الانتشـار في إفريقيا، ففي زامبيا على سبيل المثال يتفوّق الراديو على التلفاز، في عدد المسـتخدمين الذين لديهم إمكانية الوصول، بفارق ضئيل (٨٥٪ للراديو، و٧٩٪ للتلفزيون)، ولكن هذا الفارق يتسع جداً في المناطق الريفية (٦٨٪ للراديو و٢٦٪ للتلفزيون)[٣].

المشهد الإعلامي:

• الإعلام التقليدي:

في إفريقيا لا يـزال الراديو والتلفزيون مملوكاً للدولة، وقد شهدت العقود الأخيرة نمو مجموعة متنوعة من القنوات التلفزيونية، خاصة مع انتشار البث الفضائي، وتمدد الراديو فـي إذاعات المجتمع، التي اهتمت ببـث محتواها باللغات المحليـة المختلفـة، وتُخصص المؤسسـات ذات القدرة المالية محطات لكل لغة، بينما تكتفي المؤسسات متواضعة القدرات بتخصيص ساعات للبث باللغات المختلفة.

وحدث ما يشبه الانفجار في انتشار القنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية، ففي ١١ دولة شـملها مسح اليونسكو، في الفتـرة بين عامَـي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٦م، نمـت الإذاعات التجاريـة المحلية بمعدل ٣٦٠٪، فـي حين نمت الإذاعات المجتمعية بنسـبة مذهلة بلغت ١,٣٨٦٪، في المتوسـط، خلال الفترة نفسها.

وفي عام ٢٠١٥م؛ كان هناك ما يقرب من ٥٥,٣٤ مليون تلفزيون عائلي في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وحوالي ١٩,٤٧ مليون مشـترك في القنوات التلفزيونية المدفوعة القيمة، وبحلول عام ٢٠١٦م اشترك أكثر من ١٢ مليون منهم في القنوات الفضائية، وبلغت عائدات التلفزيون المدفوع في هذا المجال ٤,٢ مليـارات دولار أمريكي في عام ٢٠١٦م، مع توقع ارتفاعها إلى ٦,٥٩ مليارات دولار أمريكي في عام ٢٠٢٢[٤].

وعلى الرغم مـن أنّ النمو في ملكية التلفزيون لم يكن

(١) إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية بالأمم المتحدة، شعبة السكان، التوقعات السكانية في العالم: مراجعة ٢٠١٩، نقلاً عن موقع: https://www.worldometers.info:

(٢) Unesco inistitute for ststistcs,Fact Sheet No. 45 September 2017 FS/2017/LIT/45

(٣) Radio is Africa's most influential information outlet - UNESCO survey, www.africanews. radio-is-africa/13/02/com/2017

(٤) Unesco, Jan 19 2016 ,Statista Research Department

بالسرعة نفسها التي شهدها الراديو فإنه يحقق نمواً جيداً، متزايداً، وبعكس الصحف؛ لم يكن انفجار وسائط الإعلام الجديد خصماً عليه، بل كان عنصراً إيجابياً ساعده على تجاوز إشكالات البث التقليدي على الطيف، وضعف انتشار أجهزة الاستقبال، حيث أصبح من السهل على كل من يملك هاتفاً ذكياً، مرتبطاً بالإنترنت، التمتع بمشاهدة البث الحي لقناته المفضلة على موقع يوتيوب[١].

• **الإعلام الجديد:**

حتى وقت قريب؛، كان الوصول إلى الإنترنت ظاهرة حضرية بالكامل تقريباً، فيما عدد قليل جداً من الريفيين الذين يعيشون في دول تعتبر أكثر تحضراً، مثل جنوب إفريقيا، وحتى هذه الأخيرة كان ٢٤٪ فقط من مستخدمي الإنترنت، في العام ٢٠١٤م، يعيشون في المناطق الريفية[٢].

أما الآن؛ فتشير الإحصاءات، حتى مارس ٢٠٢٠م، إلى أنّ عدد الأشخاص الذين يستخدمون الإنترنت في إفريقيا يبلغ (٥٢٦,٧١٩,٣١٢)، وهو ما يعادل ٣٩,٣٪ من إجمالي السكان[٣].

وترجع هذه الطفرة الكبيرة في استخدام الإنترنت إلى التطور الكبير في تكنولوجيا الاتصال، وظهور الأجيال الجديدة من الهواتف النقالة، والهواتف الذكية، وبسبب حرص الدول المنتجة على انتشار منتجاتها حرصت بصورة كبيرة على الاستثمار في سوق الاتصالات في إفريقيا، وساهمت في دعم مدّ شبكات الاتصالات في إفريقيا، وخلال السنوات الثماني عشرة (من ٢٠٠٠ – ٢٠١٩م) بلغت نسبة الزيادة في عدد مستخدمي الإنترنت في إفريقيا ١٠٠٠٠٪.

مثّل الإعلام الجديد تحدياً متعاظماً للإعلام التقليدي، بسبب قدرته الفائقة على سحب الجمهور، ولم يكن لوسائل الإعلام التقليدي من حلٍّ إلا بإدماج نفسها في هذا العالم الجديد، واستفادت الإذاعة والتلفزيون بدرجة قصوى من الفرص التي يوفرها الإعلام الجديد، في تطوير قدراتها على الوصول للجمهور، وحققت نجاحاً باهراً في ذلك، بينما تراجعت مبيعات الصحف، إلى درجة كبيرة، خاصةً بين الشباب، مما حتم على الصحافة التقليدية أن تصدر نسخها الإلكترونية لتحافظ على بقائها.

ثامنا: نماذج لكبريات المؤسسات الإعلامية في إفريقيا:

١- شركة ناسبرز Naspers:

وهي تكتل إعلامي، في جنوب إفريقيا، تبلغ قيمته السوقية ١٢مليار دولار، وتتبع لها ٢٣ مجلة منها: YOUو Drum و True Love، بالإضافة إلى ٧ صحف، وعملاق التلفزيون المدفوع DSTV، كما تمتلك شركة ناسبرز أيضاً حصصاً في عدد من المواقع الإلكترونية.

٢- مجموعة (نيشن ميديا) NMG:

تُعد نيشن ميديا جروب، أو مجموعة (الأمة) الإعلامية التي أسسها آغا خان في كينيا، أكبر تكتل إعلامي في شرق إفريقيا، وتبلغ قيمتها السوقية ٣٥٠ مليون دولار، وتمتلك ٧ صحف من أشهرها «ديلي نيشن» الصحافية اليومية الأوسع انتشاراً في شرق إفريقيا، بالإضافة إلى ٣ محطات تلفزيونية تحمل اسم NMD، و٣ محطات إذاعية، بالإضافة إلى شركات إنترنت في كلٍّ من كينيا وأوغندا وتنزانيا. يدير المجموعة الآن «لينوس جيتاهي»، وهو حاصل على ماجستير إدارة الأعمال من جامعة الولايات المتحدة الدولية في كينيا.

٣- مجموعة IPP:

أسسها التنزاني «ريجنالد من مينجي» في منتصف الثمانينيات من القرن الماضي، وتضمّ ١٠ صحف وطنية، بما في ذلك Financial Times، وتملك صحيفتين في تنزانيا هما This Day وThe Guardian، وبالإضافة إلى اثنتين من أكثر المحطات التلفزيونية شعبية في شرق إفريقيا هما EATV وITV، وحوالي عشر محطات إذاعية[٤].

---

(١) روكسانا إليوت (٢٤ مايو ٢٠١٨)، قياس جمهور الوسائط، منشور بموقع GeoPoll.

(٢) تقرير مسحي لشركة balancing act، أغسطس ٢٠١٤، ص٥، بعنوان: The Sub-Saharan African Media - Landscape

(٣) internet world stats, www.internetworldstats.com/stats1.htm

(٤) Mfonobong Nsehe -15 July 2011-, the five most powerful African media moguls, www.forbes.com

٤- شركة دوكبيسي Dokpesi:

كانت رائدة في إنشـاء أول شبكة تلفزيونية خاصة في نيجيريا، وهـي تلفزيون إفريقيا المسـتقل AIT، بعد أن سـمحت الحكومة العسـكرية بالبث الخاص في البلاد في عام ١٩٩٦م، وكانت أيضاً أول محطة تلفزيونية فضائية في إفريقيا. ويُعد مؤسسـها «ريموند دوكبيسي» من أهم رموز الإعلام في نيجيريـا، وقد حظيت AIT بتغطية كبيرة، في عـام ٢٠٠٣م تمّ إطـلاق بثها في الولايـات المتحدة، ويتمّ استقباله الآن في المكسيك ومنطقة البحر الكاريبي، وأوروبا علـى القمر الصناعي هوت بيرد، بالإضافة إلى بلدان داخل إفريقيا[١].

٥- مجموعة راديو إفريقيا Radio Africa Group:

أسسـها الغاني «باتريك كواركو» Quarcoo وآخرون، وهو الآن الرئيس التنفيذي للمجموعة التي تمتلك ٦ محطات إذاعية في كينيا، ومحطة تلفزيونية اكتسـبت شعبية واسعة من خلال بث مباريات الدوري الإنجليزي الممتاز، بالإضافة إلى الأفلام المحلية والنيجيريـة، وتمتلك المجموعة أيضاً صحيفـة The Star التي تُعد ثالث أكبر صحيفة في كينيا، ويمكن القول بأنها الأكثر استقلالية.

٦- مجموعة Sud Communication في السنغال:

التي أُنشئت في العام ١٩٨٢م، ويتجاوز عدد مؤسساتها الإعلامية ٥ مؤسسـات، وهي صحيفتـان، ومجلة، ومحطة إذاعية، وبوابـة إنترنت، بجانب وكالة بريـد، ومعهد عالي للاتصالات والمعلومات.

تاسعا: مؤشرات التأثير:

١- **تاريخيا**: لعبت الصحافة الإفريقية دوراً مهماً، أثناء الكفـاح من أجـل التحرر الوطني، وعلـى الرغم محدودية الانتشـار بسـبب الحواجز البيئية والثقافيـة، وقلة أعداد القادرين على القـراءة، وضعف قدرة الصحف على التوزيع والانتشـار، ومشكلات البنية التحتية، فإنّ قوة الدفع الثوري جعلهـا تأخذ مكانهـا، بوصفها الصـوت الوحيد لحركات النضال الوطني، وليـس أدل على تأثيرها مثل المكانة التي حازهـا الصحافيون في الحركة الوطنيـة، فقد دفعت بهم الصحافـة إلى قمة تلك الحركات، ومـن ثَم إلى قمة الأمم الجديدة، ليتسنموا قيادتها بعد الاستقلال.

٢- **الصحافة الاستقصائية**: ترى آنيا شـيفرين، مديرة برنامـج التكنولوجيـا والإعـلام والاتصالات فـي جامعة كولومبيـا، أنّ للصحافة الاسـتقصائية، فـي المجتمعات الإفريقية الحديثة، دوراً حاسماً في كشف الفساد، والدفاع عن الشـفافية، ورصدت شـيفرين، فـي كتابها African Muckracking ٧٥ Years of Investigative Journalism in Africa تحقيقـات اسـتقصائية لأبرز الصحافيين الأفارقة، الذين حققت قصصهم تأثيراً مهماً في بلدانهم الأصلية، نذكر منهم على سـبيل المثال: الصحافي الموزمبيقي كارلـوس كاردوزو، والصحافي الأنغولي رفائيل ماركس، اللذين نشرَا تقارير عن الفساد والوحشية.

٣- **ظهور المؤسسات المستقلة**: وفي فترة التسـعينيات من القرن الماضي؛ بدأت مؤسسات الإعلام في التحرر من قبضة الأنظمة الاستبدادية، وظهرت المؤسسات الإعلامية المستقلة، وأسهمت إسهاماً كبيراً في توسيع مساحة الحرية، بتجييش الشـعب للضغط على حكوماته مـن أجل تحقيق مطالبه في الحرية.

٤- **الانتخابات السلمية**: تأثير الإعـلام الإفريقي كان واضحاً كذلك في الضغط من أجل قيام انتخابات سـلمية وشفافة في كلٍّ من: (بنين، والرأس الأخضر، وغانا، ومالي، وناميبيا، وجنوب إفريقيا، وزامبيا)، وسـاهمت في الحفاظ على المراحل الانتقالية بعد الصراع، واستعادة السلام في: (ليبيريا وموزمبيق وسيراليون)، وبجانب الحفاظ على الحكم الدسـتوري في أوقات الأزمات السياسية في: (غينيا وكينيا ونيجيريا)[٢].

٥- **اجتماعيا**: لعبت وسـائل الإعلام المجتمعية أدواراً مهمة في تغيير السـلوك الصحي في إفريقيا، على سـبيل المثال: (شبكات الأسرة المضادة للملاريا).

٦- **البرامج التفاعلية**: وتكمـن قوة وسـائل الإعلام، خصوصاً المسـموعة والمرئية، في توفيرها بيئة مناسـبة للنقاش على الهواء مباشرة، من خلال البرامج التفاعلية مع الجمهور، حيث تلعب البرامج التفاعلية دوراً كبيرة في زيادة

(١) Tom Jackson- August 2012-, THE 10 MOST POWERFUL AFRICAN MEDIA MOGULS, /venturesafrica.com, http://venturesafrica.com

(٢) George Ogola, Africa has a long history of fake news

وعي الجمهور، وتشكيل الرأي العام.

٧- **الثقة والمصداقية:** كما تستمد وسائل الإعلام، سطوتها على الجمهور، من خلال ثقته بمصداقية الأخبار والمعلومات التي توفرها للجمهور، وتشير الدراسات إلى أنّ ٨٣٪ من التنزانيين يحصلون على الأخبار والمعلومات من الإذاعة، مما يجعلها رائدة المصادر الإعلامية وغير الإعلامية، بينما ساهم الراديو في رفع الوعي السياسي لغالبية المستمعين في كينيا، وفقاً لاستطلاع أجرته اليونسكو، حيث أشار ٢١٪ من مستمعي الراديو إلى أنّ السياسة هي أكثر شيء تعلّموه منه[١].

٨- **الإعلام الجديد:** مثلت وسائل الإعلام الجديد تحولاً كبيراً في قدرات الإعلام على التأثير الاجتماعي والسياسي، وليس أدل على ذلك من محاولات الأنظمة القمعية السيطرة على انتشارها، باتباع سياسات الحجب الإلكتروني للصفحات والمواقع الإلكترونية، إلا أنّ أساليب تجاوز هذا الحجب أصبحت شائعة جداً، بواسطة تطبيقات وبرامج شائعة، مما أدى بالدول المستبدة إلى الاتجاه لسنّ قوانين «جرائم المعلوماتية»؛ كمحاولة لفرض السيطرة على محتوى الإعلام الجديد.

٩- **الحشد والتعبئة:** تأثير الإعلام الجديد؛ بدَا واضحاً جداً في شمال القارة، أثناء موجة ثورات «الربيع العربي»، التي انتظمت عدداً من دول الشمال الإفريقي، تلك التجربة كان لها دور أساسي في التعبئة الثورية، واستلهمت كثير من الحركات الاحتجاجية في إفريقيا من الربيع العربي نموذج التعبئة من خلال الإعلام الجديد، لتحقق نجاحات كبيرة، على سبيل المثال: الحركة الطلابية في جنوب إفريقيا، التي بدأت في عام ٢٠١٥م، وغيرت مشهد التعليم العالي في البلاد على مدار العامين التاليين، فقد استخدمت وسائل التواصل الاجتماعي بشكلٍ ملحوظ، وأصبحت الحركة نفسها معروفة من خلال هاشتاج تويتر: FeesmustFall[٢].

عاشراً: نظرة إلى المستقبل:

أمام المؤسسات الإعلامية الإفريقية فرصة كبيرة للتطور والترقي، في ظل مناخ الحرية الذي ساهمت في ترسيخه في القارة، وفي ظل التطورات التكنولوجية السريعة والمذهلة التي يشهدها العالم على وجه العموم، والإعلام بشكلٍ خاص، وفي ظل الإقبال المحموم من كل العالم لاقتحامٍ الفضاءات الإعلامية الإفريقية، الرقمية والتقليدية، والاستثمار فيها.

وعلى قادة المؤسسات الإعلامية ألا ينظروا إلى التحديات الماثلة على أنها عقبات ومشكلات؛ بقدر ما هي فرص تحتاج إلى جهد وذكاء للقفز فوقها، واستثمار فوائدها.. ويمثل الإعلام الجديد واحدة من هذه الفرص، التي تُقلّص إلى درجة كبيرة الفوارق التقنية بين الشمال والجنوب، وتُلغي فكرة التحكم باتجاه التدفق الإعلامي.

يحاول النموذج الغربي أن يبقي إفريقيا دائماً في خانة التلقي، وتعمل الدعاية الغربية على تكريس فكرة ضعف القدرات، ونقص الكفاءة، لدى الإعلاميين الأفارقة، ليظلوا على الدوام متطلعين إلى تلقي فتات المعونات المالية، وفرص التدريب المؤدلج، المشحون بالأجندة الغربية، فعلى الإعلاميين الأفارقة أن يعلموا تمام العلم أنّ قدراتهم لا تقل أبداً عن الغربيين، بل إنّ الخصوبة الإعلامية الغالية، في القارة المشحونة بالأحداث والقضايا، والإحباطات، والطموحات الشابة، المتفاعلة معاً، تؤهلهم لتقديم محتوى أكثر روعة وأشد جاذبية، وأكثر إنسانية من الأداء الغربي الشاحب.

وعلى مؤسسات الإعلام الإفريقي أن تقوم بدورها، وذلك في تقديم الدعم والتدريب المناسبين للكوادر الإعلامية، ولا تتركهم نهباً للاستعماريين الجدد، وصائدي المصالح، وأصحاب الأجندات، بسبب شح مواردهم المالية.

أمام المؤسسات الإعلامية الإفريقية تحدي «العمل على تكامل الجهود» لتحقيق رؤية إعلامية كلية للقارة، تستهدف تنميتها، والدفاع عن قيمها الفاضلة، وتجاوز إخفاقاتها ونقاط ضعفها، وإن الحرية التي انتزعتها من الأنظمة الدكتاتورية؛ يجب ألا تمنعها من الاستفادة من النقاط الإيجابية التي سجلتها تلك الأنظمة، من قبيل سعيها لإنشاء تكتلات إعلامية، واتحادات تجمع مؤسسات الإعلام الخاصة والحكومية، لمصلحة تنمية إنسان القارة، والوقوف بوجه الاستغلال الخارجي ■

---

(١) UNESCO survey, Radio is Africa›s most influential information outlet, www.africanews.radio-is-africa/13/02/com/2017

(٢) Herman Wasserman -12 Mar 2018-, Digitalisation of the media in Africa: Prospects for change, doc-research.org, https://doc-digitalisation-of-the-/03/research.org/2018 media-in-africa-prospects-for-change